توجيه العلل النحوية إلى مقاصد بلاغية في التعبير القرآني

أسيل عباس حسين
جامعة كربـــــــــلاء/ رئاسة الجامعة

الخلاصة :

لاشك في أن الظواهر البيانية لم تخطر على بال أحد من النحويين إلا من امتلك أزمَّة النحو وكان له القدح المعلَّى فيه ، كالزمخشري والفخر الرازي الذيّن التقتا بما أوتيا من نظر ثاقب ودقة ملاحظة ورسوخ قدم في ميدان النحو واللغة إلى اقتناص كثير من العلل ، وتصيّد كم ٍ كبيرٍ من النكات البيانية فانفتحت أمامهما أبواب ظلت مؤصدة على غيرهما ، ثم جاءت الدراسات اللاحقة بعد قرون طويلة لتكون مصداقاً لما رصداه إذ حاولت أن تجاريهم في ما تحصَّل لهما من نكت تعبيرية ولطائف نحوية . ثم إن أسرار التعبير التي حاول المؤلفون أن يجتلوها في هذا الميدان يتعذر النظر إليها بمنأى عن سياق الآية أو السورة أو الجو العام الذي يحيط بالنص القرآني ، أو بمعزل عن قرائن الأحوال ، وهذا ما يعانق الحقيقة القائلة بأن كثيراً من مفردات العربية لا تعدو أن تكون ألفاظاً مجردة عائمة المعاني إذا ما انتزعت من سياقاتها ، إذ هي في خارج السياق تتجاذبها كثير من المعاني ، في حين وضعها في سياقها يقرب المعنى الذي سيقت له. وأخيراً إن جمهور النحويين ينزعون منزعاً واحداً في ما تصيدوه من أمثلة للتضمين ، إلا أنهم أحياناً نأوا بأنفسهم عن ذلك ، ومن ثم كانوا في حِلّ مما تبنوه في بعض المواطن إذ حملوا بعض الأفعال على التضمين ، وإن كانت غير مقترنة بحرف جر.

Abstract :

There is no doubt that the harpsichord phenomena didn't come be any of the grammarians mind accept. Those who have the power in grammar and take the leading in this science , Like (AL-Zamakhshary) and (AL-Razy) whom be responsible to get a lot of secret with them claver and good understanding. So that all doors opened for them and no body can pass accept the two men above. Later , a lot of studies came to improve what they picked up terms which authors try to Cary it in this space cannot take it mean alone from the all phrase of Quran text. and that what come with the troth that say " the Arabic words is just avocable empty from meaning if it removed from it's phrases ". this words have a lot of meanings in its single stale , but it give the nearest meaning when it come in a sentence , At last , the grammarians have the same methodizing in what they take as an example for involving , But they adopt , so they didn't have any responsibility on what they adopt in some places , they carry some of verbs on involving that were not pairs with prepositions .

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد فإنَّ كتاب الله المجيد مائدة حافلة بألوان مختلفة من ألوان المعرفة ، وزاد لا ينفد ، وفرقان لا يخمد برهانه ، وسراج لا يخبو نوره ، وبحر لا يدرك قعره ولا ساحله ، ومنهل لا يغيضه الواردون، ودرّ مكنون لا تنقضي عجائبه ، ولا تأفل معانيه السامية بهرت بلاغته العقول ، وعجز عن الإحاطة بكنهه الدارسون ، وحار في ما حواه من سمو التعبير وجمال الأداء وفتنة المعنى أولو الألباب ، وسحرت آياته أرباب البيان .

ومما لامرية فيه أن النص القرآني ينتقي تراكيبه وصيغه ومفرداته بدقة متناهية ، ويضع كل ذلك في مكانه اللائق به ، ويتخيَّر الموطن المناسب له ، ومن ثم تجلّت فيه بداعة الأسلوب وروعة استعمال التراكيب والصيغ ، وجمال انتقاء المفردات . وقد انكب علماء البيان على رصد ذلك ، إذ عمدوا إلى بيان معجز رصف القرآن الكريم وحلاوة سبكه ونظمه ، وتوخي الإعجاز البياني في تعبيره، فوضعوا أيديهم على لآلئ نظيمة وجواهر نفيسة .

وكان من ألمع المعنيين بهذا الميدان الزمخشري إذ كان جلّ ما استنبطه من روائع البيان ، وعجيب النظم من نتاج ذهنه المتوقد وذوقه اللغوي السليم ، وعلمه المتفجر ، ثم تلقف كوكبة من العلماء ذلك منه ، وساروا على هديه في مؤلفاتهم واقتفوا أثره ، وكان من بين من وشى مصنفاته بهذا اللون من الدراسة الفخر الرازي في (التفسير الكبير) . ثم حوت كتب من أضراب (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي ، و(روح المعاني) للآلوسي ، وغيرهما كثير ، مادة غزيرة تجري على نسق ما نثره الزمخشري في كشافه إذ كانت مؤلفاتم مظنة للطائف التعبير ودقائق التعليل ، وهو أمر ينم على رسوخ قدم وبراعة في هذا الحقل، وتضلع في استشفاف النكت البلاغية والأسرار التعبيرية . ولأجل ذلك وجدتني أعمد إلى اقتطاف بعض ما تضمنته كتب التفاسير من شذرات هذا الفن ، والغوص في لججه ، لاستخلاص دقائق تعبيراته ، والارتشاف من معينه الذي لا ينضب ، مقتصراً في ذلك كله على بعض الأمثلة ، إذ الإحاطة بكل ما ذكره المؤلفون في هذا الميدان أمر بعيد المنال .

ولذلك فقد تناولت في هذه الدراسة البسيطة بعض العلل النحوية التي تطرق لها هؤلاء الاعلام ومنها علل التنكير والتعريف وما خرجت اليه بعض الالفاظ من معاني . كما تناولت الدراسة الالفاظ التي نُكِّرت في اية وعُرِّفت في اية اخرى والفاظ تم تنكيرها

وتعريفها في اية واحدة ، ومن العلل التي تم التعرض لها في هذه الدراسة علل التقديم والتأخير وبعد استقصاء ما ذكره المفسر فقد تبين انه الى تقديم المعمول على الفعل فكان في تقديم المفعول به على فعله وتقديم المفعول من اجله على المفعول به وتقديم الجار والمجرور على الاسم وتقديم الجار والمجرور على الفعل . وقد انحصرت اسرار التقديم و التأخير في الاختصاص والاهتمام والفاصلة والاعتناء . كما تعرض البحث لدراسة علل التوكيد وعلل استعمال الحروف وتضمنت حروف النفي والجزم والجر واخيراً علل التضمين .

اسأل الله ان وفقت في عرضها والله ولي التوفيق ...

١ـ من علل التنكير والتعريف :

حدّ النحويون النكرة بأنها ما وضع لشيء غير معين ، والمعرفة بأنها مادلَّ على شيء معين .[١] وإنما كانت النكرة دالة على شيء غير معين ، لشيوعه بين أفراد كثيرة من نوعه تشابهه في حقيقته ، ويصدق على كلٍّ منها اسمه ، أما المعرفة فإنها دالة على شيء معين ، لأنه متميز بأوصاف وعلامات ، لا يشاركه فيها فرد من نوعه[٢].

وقد حشد المفسرون عدداً كبيراً من العلل النحوية ، وهم يفسرون آي الذكر الحكيم ، منبهين على أسرار بعض المفردات في مواطن معينة ، وتعريفها أنفسها في مواطن أخرى . واقتضت طبيعة البحث أن يتوزع ما رُصد في هذا الميدان على النحو الآتي :

أ- من علل التنكير .

ب- من علل تنكير لفظ في آية وتعريفه في آية أخرى .

ت- من علل تنكير لفظ وتعريف آخر في آية واحدة .

أ- من علل التنكير : ويمكن إجمالها بما يأتي :

١ـ التعظيم : وقد استوقفت المفسرون أمثلة كثيرة لهذا الضرب من ضروب تنكير المفردات القرآنية ، منها ما بينوا فيه السراء وراء تنكير (هدى) في قوله تعالى : ((أُوْلَئِكَ عَلَى هدىً مِنْ رَّبِّهِمْ))[٣] إذ قال أحدهم : ((ونكر (هدى) ليفيد إبهامه التعظيم))[٤] . ويمكن أن يكون المقصود بمقتضى ما يوحي به المقام ، التعظيم والكمال معاً ، أي : هدى عظيماً كاملاً تامّاً ، وتلكم خصيصة تفرد بها الاستعمال القرآني إذ ينظم المعاني المرادة بأوجز سبيل وأخصره ، فبدلاً من أن يقول : هدى عظيماً كاملاً تاماً قال : هدى ، فسبحان من أنزل هذا الكتاب المعجز في كل شيء .

ومنه قولهم في غضون تفسيرهم قوله تعالى : ((وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً))[٥] إن (خيراً) إنما نُكر للتعظيم ، جاء في (اللباب) : ((والتنكير في (خيراً) قال الزمخشري : يفيد التعظيم ، كأنه قال : فقد أوتي أيَّ خير كثير .))[٦]

ومنه قولهم ، في سياق حديثهم عن قوله تعالى : ((وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً))[٧] : ((ونكر (مطراً) تعظيماً))[٨] وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من التنكير في هذا الموطن التنويع ، أي نوعاً من المطر عجيباً[٩] ، في حين أضاف بعضهم إلى هذين الغرضين مقصداً آخر ، هو التعجب ، أي : مطراً عجيباً من شأنه أن يهلك القرى[١٠] . والذي يلوح لي ويتناغم مع السياق أن المقصود من التنكير المعاني التي سجلها المفسرون جميعها ، فبمقتضى ذلك يكون المعنى : مطراً عظيماً عجيباً فحذف الوصفين ليبقى الذهن يجول في كنه هذا المطر الذي سقط على الكافرين من السماء .

ومنه تنكير (خسر) في قوله تعالى : ((وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ))[١١] ، جاء في (اللباب) : ((وتنكير الخسران إما للتعظيم ، وإما للتحقير ... والأول أظهر))[١٢]. والذي يتواءم مع مراد الآية المباركة وينساق إلى الذهن أن النكتة التي اقتضت تنكير (خسر) إرادة الإبهام ، ومن ثم يكون المعنى بمقتضى ذلك : خسر مبهم ، لا تحيط بكنهه العقول ، ولا تشرحه العبارة ، ولا يدرك مبلغه إلا علام الغيوب الذي لا يندّ عن علمه شيء . أما معنى التحقير الذي تلمسه صاحب اللباب فلا أراه متسقاً مع جو الآية بل هذا الرأي يكتنفه الضعف ويلفه الغموض ، ومن ثم لا أجد لتسطيره مسوغاً لا عقلاً ولا عرفاً لغوياً .

ومما يندرج تحت هذا الغرض تنكير (جوع وخوف) في قوله تعالى : ((الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ))[١٣] إذ نص المفسرون على أن المعنى : من جوع عظيم وخوف عظيم [١٤]. وركن بعضهم إلى أن التنكير في هذا الموطن للنوعية لا للتعظيم إذ لم يحلَّ بهم جوع وخوف من قبل[١٥] .

٢ـ التفخيم : وهو غرض ذكره المفسرون في كثير من المواطن ، من بينها قولهم إن (درجة) في قوله تعالى : ((فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً))[١٦] ، إنما نكر لإرادة التفخيم [١٧].

ومن أمثلة هذا الغرض تنكير (كتاب) في قوله تعالى : ((وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ))[١٨] إذ ذكروا أن سر ذلك مرده إلى إرادة التفخيم فضلاً على التعظيم[١٩]. وذهب الآلوسي إلى أن التنكير فيه إما للإفراد نوعاً ، وذلك على القول بتعدده ، أو شخصاً ، وفائدته الدلالة على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميز عن سائرها إلا أنه عاد ليقول : إن الأولى أن يكون المقصود من التنكير كمال التعريف ، والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا يخفى نُكّر أو عُرِّف [٢٠].

٣ـ التنويع : نصوا عليه في مواضع متعددة ، منها قولهم في سياق كلامهم على قوله تعالى : ((أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ))[٢١] إن المراد أنواع من الظلمات والرعد والبرق ، كأنه قيل : فيه ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف [٢٢].

ومنه ما ذكروه في سر تنكير (رزقاً) في قوله تعالى : ((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً)) [٢٣] ، جاء في (اللباب) : ((ونكر (رزقاً) تعظيماً ، أو ليدل به على نوع ما)) [٢٤] . ويمكن أن يكون التنكير بمعونة المقام للتكثير أي وجد عندها رزقاً كثيراً ، وبمقتضى هذا المعنى يكون ثم مزيد فضل وعظيم تكريم . ويمكن أن تكون المعاني الثلاثة مرادة ، أي رزقاً عظيماً كثيراً فيه أنواع من الرزق .

وفي قوله تعالى : ((فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً)) [٢٥] بينوا الباعث وراء تنكير (رشداً) إذ جاء في (الكشاف) : ((ونكر (رشداً) دلالة على التنويع ، والمعنى : أي نوع حصل من الرشد كان كافياً))[٢٦] .

٤- التقليل : ومثلوا له بأمثلة كثيرة نقتطف من بينها ما وقفوا على تعليله ، وهم يفسرون قوله تعالى : ((وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مَّنْ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ))[٢٧].

جاء في (التفسير الكبير) : ((فإن قيل المغفرة هي الرحمة فلمَ كررها ونكرها ؟ فالجواب : أما التنكير فإن ذلك إيذان بأن أدنى خير وأقل شيء خير من الدنيا وما فيها ، وهو المراد بقوله ((مما يجمعون)) ، ونظيره قوله تعالى : ((وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللهِ أَكْبَرُ))[٢٨] ، والتنكير قد يشعر بالتقليل))[٢٩].

ومنه تنكير (قتالاً) في قوله تعالى : ((قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً))[٣٠] ، جاء في (اللباب) : ونكر (قتالاً) للتقليل ، أي : لو علمنا بعض قتال ما))[٣١] . إن تدبر الآية المباركة والنظر فيها لا ينكشف منه السر وراء تنكير (قتال) المذكور آنفاً بل أجده بمنأى عن المراد ، ألا ترى كيف يكون المعنى سمجاً ، إذا ما عمدنا إلى هذا التقدير . وثمة معنى يدقُّ ، وهو أن معنى التنكير التنويع، لأن المنافقين يدَّعون بأنهم لو كانوا يعلمون أي نوع من أنواع القتال ما أبطأوا .

٥- التخصيص : وهو أحد أغراض تنكير المفردة العربية ، ولم يكن المفسرون غافلين عنه ، بل نصوا عليه ومثلوا له ، ومن ذلك قول صاحب (اللباب) في قوله تعالى : ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا))[٣٢] : ((والتنكير في (حياة) تنبيه على أنه أراد حياة مخصوصة ، وهي الحياة المتطاولة .... وقيل إن ذلك على حذف مضاف ، تقديره : على طول حياة ، والظاهر أنه لا يحتاج إلى تقدير صفة ولا مضاف ، بل يكون المعنى : أنهم أحرص الناس على مطلق الحياة))[٣٣] وإلى هذا المعنى ذهب عدد من المفسرين ممن سبقه ولحقه[٣٤] ، في حين ذهب بعضهم إلى أن المراد من التنكير في هذا الموضع التنويع أي : كيفما كانت تلك الحياة[٣٥] . وهذه المعاني التي سجلها علماء البيان محتملة إلا أن ثمة سراً بديعاً أغفله معظمهم هو أن يكون المقصود من تنكير (حياة) التحقير ، ومن ثم يكون المعنى : (يحبون البقاء في الحياة ولو كانت حياة بؤس وشقاء ، أو كانت قليلة، لأنه يعلم بأنه يرد إلى أشد العذاب))[٣٦] ، ويدلنا على ذلك أن الآية المباركة جاءت في سياق الكلام على اليهود وتشبثهم بالحياة وركونهم إليها ، قال تعالى : ((قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (*) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ))[٣٧] ، ويعضد هذا المعنى ويؤيده قوله في خاتمة الآية الكريمة ((يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ)) ، وفي كل ذلك إشعار بأنهم مجبولون على التمسك بالحياة ولو كانت دنيئة خسيسة .

ومن أمثلة هذا الضرب قول الزمخشري في تنكير (منافع) في قوله تعالى : ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ))[٣٨] : ((ونكر (منافع) لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادات دينية ودنيوية ، لا توجد في غيرها من العبادات))[٣٩] .

٦- الكمال : وقد توقفوا عنده في أثناء عرضهم لقوله تعالى : ((رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً))[٤٠] إذ ذكروا أن (صبراً) إنما نكر ليدل على الكمال والتمام ، أي : صبراً كاملاً تاماً [٤١] . ويبدو لي أن التنكير بمعونة المقام للتكثير أي : أفرغ علينا صبراً كثيراً .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ((فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ))[٤٢] إذ أثاروا سؤلاً جعلوه مفتاحاً لبيان النكتة وراء تنكير (سلام) جاء في (اللباب) : ((فإن قيل كيف جاز الابتداء بالنكرة فالجواب إذا وصفت جاز ذلك ، فإذا قلت : (سلام عليكم) فالتنكير هنا يدل على الكمال والتمام، فكأنه سلام كامل تام عليك))[٤٣].

٧- العموم : وهو غرض لفتوا الأنظار إليه ، وهم يفسرون قوله تعالى : ((وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ))[٤٤] ، جاء في (اللباب) : ((ونكر (ظلماً) لأنه في سياق النفي ، فهو يعم كل أنواع الظلم))[٤٥]. ويمكن أن ينضم إلى المعنى الذي رصده المفسرون معنى آخر هو التقليل ، أي أن أدنى ظلم وأقله لا يقع من الله تبارك وتعالى .

٨-الإبهام : وهو معنى قرروه في بعض المواطن منها ما جاء في قوله تعالى : ((ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ))[٤٦] إذ نصوا على ذلك بقولهم : ((والتنكير في الأجلين للابهام))[٤٧] . ويمكن أن يكون تنوين (أجل) في الموطنين لتفخيم شأنه وتهويل أمره .[٤٨]

٩- التفصيل : ومثاله عندهم ورد في قوله تعالى : ((كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ))[٤٩] ، جاء في (الكشاف) : (وأما تنكير (خلق) فلدلالته على التفصيل))[٥٠].

١٠- التبعيض : وهو معنى وقفوا عنده في سياق كلامهم على قوله تعالى : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً))[٥١] ، جاء في (الكشاف) : ((وإنما نكر (علماً) تعظيماً له ، أي : علماً سنياً أو دلالة على التبعيض ، لأنه قليل جدّاً بالنسبة إلى علمه تعالى))[٥٢] . والأرجح أن يكون الغرض من التنكير التبعيض ، إذ ما أوتي داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بعض من علمه تعالى الذي لا ينفد ولا يتناهى إلى حدّ.

١١- التحقير : ومثاله عندهم جاء في قوله تعالى : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ))[٥٣] إذ قال أحدهم لبيان السر في تنكير (إيمان) : ((فإن قيل : ما الفائدة في تنكير الايمان ...؟ فالجواب هو : للتحقير أو للتكثير))[٥٤].

ويبدو لي أن التحقير ، في هذا المقام ، غير مقصود ، بل لا أجد له معنى يتواءم مع السياق وأحسب ، والله أعلم ، أن المقصود من التنكير في هذا الموطن التقليل ، أي أن أدنى إيمان يمكن أن يفضي إلى دخول الذرية مع الآباء في جنات النعيم وليس ذلك إلا فضلاً من الله تعالى اختص به المؤمنين ، لِتقرَّ به أعينهم وتكتمل سعادتهم ، ويتمَّ أُنسهم ، وهم يرون أبناءهم يرافقونهم ، وهذه الدقيقة تنبئ عن سعة رحمة الله عزَّ وجلَّ بالمؤمنين وتكريمه لهم ولطفه بهم .

١٢- التكثير : وقد أبانوا هذا الغرض في سياق تفسيرهم قوله تعالى : ((أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ))[٥٥] جاء في (الكشاف) : ((وإنما نكر (نفساً) لأنه أراد التكثير... ويجوز أن يريد (نفساً) متميزة عن الأنفس باللجاج الشديد في الكفر والعذاب الشديد))[٥٦] . ومال الطاهر بن عاشور إلى أن التنكير في هذا الموطن للنوعية ، أي : أن يقول صنف من النفوس

وهي نفوس المشركين[٥٧]. ويغلب على ظني أن التكثير هو الأوفق لأن النفوس في معظمها كارهة للحق ، ومن ثم يكون المعنى : أن تقول نفوس كثيرة .

ب- من علل تنكير لفظ في آية وتعريفه في أخرى :-

وهي ظاهرة نصوا عليها في غير موضع ، مسجلين ما تضمنته الآيات المباركة من بدائع أسرار البيان القرآني ، ومما يندرج تحت هذا النمط ما ذكروه في تنكير (حق) في قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ))[٥٨] وتعريفه في قوله تعالى : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ))[٥٩] ، جاء في (اللباب) : ((وجاء هنا أي في آل عمران – (بغير حق) منكَّراً ، وفي البقرة (بغير الحق) معرَّفاً ، قيل : لأن الجملة هنا أخرجت مخرج الشرط ، وهو عام لا يتخصص ، فلذلك ناسب أن تذكر في سياق النفي ، لتعم ، وأما في البقرة فجاءت الآية في ناس معهودين مختصين بأعيانهم ، وكان الحق الذي يقتل به الإنسان معروفاً عندهم فلم يقصد هذا العموم الذي هنا ، فجيء في كل مكان بما يناسبه))[٦٠].

ومنه قوله تعالى : ((وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)) [٦١] وقوله تعالى : ((وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ))[٦٢] فعرَّف (الحق) في البقرة ونكَّرة في آل عمران ، وتلمس الفروق بين الموضعين يدق ومن ثم يحتاج إلى إدامة نظر وفضل تأمل ، جاء في (معاني النحو) : ((إن كلمة الحق المعرفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل . والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم ، وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً لاحقّ يدعو إلى قتل ولا غيره . أي ليس هناك وجه من وجوه الحق يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم ، فكلمة (حق) ههنا نكرة عامة ، وكلمة (الحق) معرَّفة معلومة . والقصد من التنكير الزيادة في ذمهم وتبشيع فعلهم أكثر مما في التعريف ...فمقام التشنيع والذم ههنا أكبر من ثم وكلاهما شنيع ذميم))[٦٣] ، ((ثم إنه ذكر الجمع في آية البقرة بصورة القلة فقال ((ويقتلون النبيين)) وذكر آية آل عمران بصورة الكثرة ، فقال : ((ويقتلون الأنبياء)) أي : يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حق . فالتشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد ، ومن ثم تبين أن التعريف في آية البقرة أليق ، والتنكير في آية آل عمران أليق))[٦٤].

ت- من علل تنكير لفظ وتعريف آخر في آية واحدة :-

وهو ما اعتنوا بذكره في أكثر من مناسبة ، منها ما ذكروه في تعريف (الحسنة) وتنكير (سيئة) في قوله تعالى : ((فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ)) [٦٥] .

إذ ذكروا أن الباعث وراء تعريف الحسنة إنما مرده إلى سعة رحمة الله تعالى ، إذ هي أمر محبوب كل أحد يتمناه . في حين نُكِّرت السيئة لأنه أمر مكروه كل أحد يحذره [٦٦] . وقد أوضح الزمخشري ذلك بأجلى ما يكون الإيضاح إذ قال : ((فإن قلت : كيف قيل : (فإذا جاءتهم الحسنة) بـ (إذا) وتعريف الحسنة ، و (إن تصبهم سيئة) بـ (إن) وتنكير السيئة ؟ قلت : لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ، ولا يقع شيء منها))[٦٧] .

وهذا المعنى الذي التفت إليه الزمخشري من محاسن علم البيان ومن رائق كلامه رحمه الله تعالى، فقوم موسى عليه السلام يقولون : لنا هذه إذ تجيئهم الحسنات ، وما أكثرها ، في حين أنهم يطيرون بموسى وأتباعه إذ تصيبهم أدنى سيئة وأقلها .

ومما يندرج تحت هذا الباب قوله تعالى : ((وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (*) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (*) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ))[٦٨] إذ وقفوا عنده مبينين المسوغ وراء تنكير (غاسق) و (حاسد) ، وتعريف (النفاثات) ، جاء في (اللباب) : ((ونكر (غاسقاً وحاسداً) ، لأنه قد يختلف الضرر فيهما ، فإن التنكير للتبعيض ، وعرف النفاثات إما للعهد كما يروى في التفسير ، وإما للمبالغة في الشر))[٦٩] . وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن تنكير (غاسق) في مقام الدعاء يقصد به العموم ، وتعريف (النفاثات) يقصد به الجنس ، وهو في معنى النكرة ، فلا تفاوت بينه وبين قوله : (ومن شر غاسق) وإنما أوثر تعريف (النفاثات) للإشارة إلى أنه حقيقة معلومة للسامع .[٧٠]

٢- من علل التقديم والتأخير :-

وهو أحد الأساليب البلاغية الرفيعة التي استثمرها التعبير القرآني ، وعوَّل عليها في كثير من المواطن إذ راعى طلاوة رصف الألفاظ بعضها بجانب بعض وجودة سبك أجزاء الجملة ، ومن ثم أسبغ ذلك عليها مسحة من الجمال ورشاقة في الأسلوب فالتعبير القرآني ينتقي المواطن التي يقدم فيها لفظاً ويؤخر آخر بحسب مقتضى الحال وما يقتضيه السياق الذي به يتحصل المعنى المقصود أو الغرض الذي يتوخى الأسلوب القرآني ترسيخه في الأذهان من معانٍ جليلة وتعاليم سامية .

وقد اعتنى المفسرون بهذا الفن وحاولوا أن يرصدوا طرفاً من أسرار التقديم والتأخير وأن يجتلوا من بدائع تعبيراته . وبعد أن استقصيت جميع ما ذكروه في هذا الباب تبين لي أنه ينقسم على النحو الآتي :

أ- تقديم معمول الفعل :

١- تقديم المفعول به على فعله .

٢- تقديم المفعول لأجله على المفعول به .

ب- تقديم الجار والمجرور :

١- تقديم الجار والمجرور على الاسم .

٢- تقديم الجار والمجرور على الفعل .

أ- تقديم المفعول به على فعله :

المفعول به يؤتى به بعد الفعل والفاعل ، هذا هو الأصل ، والترتيب الطبيعي لنظام الجملة العربية فإذا ما جيء به مقدماً على فعله تعين السؤال عن سر هذا التقديم . وفي هذا المبحث نحاول أن نلقي الضوء على أبرز ما اقتنصوه من شذرات هذا الفن ونبين بواعث التقديم عندهم . وهي محصورة بما يأتي :

١- الاختصاص
٢- الاهتمام
٣- المحافظة على الفواصل
٤- الإنكار

١- الاختصاص : وهو أصل كبير وباب شريف جليل ، كان مظنة كثير من دواعي تقديم المفعول به ومن ثم رد علماء البيان معظم أسباب هذا التقديم إليه . وقد احتل الاختصاص مساحة كبيرة في ما سجلوه بين سطور كتبهم ، وقد شارفت أمثلته عندهم على النيف وأربعين موطناً . وفي ما يأتي أضع بين يدي القارئ طرفاً منها قول بعضهم في قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))[٧١] : ((أنفسهم) مفعول مقدم في محل نصب خبر (كانوا) وقدم المفعول إيذاناً باختصاص الظلم بهم وأنه لا يتعداهم))[٧٢] وجعل بعض المفسرين التقديم في هذا الموطن من أجل الاعتناء وتوافق الفواصل .[٧٣]

ومما يدخل في هذا السياق تقديم (إياه) في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)) [٧٤] جاء في (اللباب) : ((و (إياه) مفعول مقدم ليفيد الاختصاص أو لكون عامله رأس آية))[٧٥] . وسر التقديم عند أبي حيان هو الاهتمام والتعظيم لشأن المفعول به فضلاً عن كون عامله رأس آية .[٧٦]

ويبدو لي أن الذي يقتضيه السياق ويتجاوب مع المعنى المراد أن يكون (إياه) مقدماً على عامله إيذاناً بالاختصاص ، وأدنى تأمل في سياق الآية المباركة يدلنا على ذلك إذ أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالأكل من طيبات ما رزقنا وشكره على ما أسبغ علينا من نعم ، ثم أعقب ذلك بقوله : (إن كنتم إياه تعبدون) أي : إن كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه هو الهكم لا غيره وأنه هو الرزاق وحده دون غيره ، فأشكروا له هذه النعم .

ومنه تقديم (الجحيم) في قوله تعالى : ((ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ))[٧٧] إذ نصوا على معنى الاختصاص ومن ثم قال الزمخشري إن المراد : ثم لا تصلوه إلا الجحيم .[٧٨] وأبى أبو حيان ذلك لأن ذلك ليس مذهباً لسيبويه ولا لحذاق النحويين .[٧٩]

والظاهر أن التقديم في هذا الموطن يفيد تعجيل المساءة[٨٠] فضلاً على معنى الحصر الذي سجله الزمخشري .

٢-الاهتمام : وهو من أبرز دواعي تقديم المفعول به ، ويعد سيبويه أول من لفت الأنظار إليه إذ ذكر أنهم ((إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))[٨١] ثم تلقّف علماء البيان ذلك وتوسعوا في التمثيل له ومن ذلك قول بعضهم في قوله تعالى : ((أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ))[٨٢] : (((إياكم منصوب بخبر (كان) قدم لأجل الفواصل والاهتمام))[٨٣] وقصر بعضهم سر التقديم على كون (يعبدون) فاصلة[٨٤].

ومما توقفوا عنده مما ينضوي تحت هذا الباب قوله تعالى : ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (*) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (*) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ))[٨٥] إذ نصوا على أن المفعول به في (وربك فكبر) وكذا ما بعده إنما قدم إيذاناً بالاختصاص عند من يرى ذلك أو للاهتمام به[٨٦]. وإفادة الاختصاص شيء ذكره الزمخشري إذ نص على أن المعنى : واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال : الله أكبر[٨٧] ويتراءى لي أن تقديم (ثيابك) و (الرجز) على عامليهما ليس من الاختصاص في شيء اذ ليس المقصود قصر التطهير على الثياب والهجر على الرجز ولو كان هذا المعنى مراداً لاقتضى ذلك تطهير الثياب وهجر الرجز دون غيرهما وهو ليس مراداً البتة ، وعليه اتضح أن السر وراء تقديم (ثيابك) و (الرجز) هو العناية والاهتمام فحسب .

٣-المحافظة على الفواصل : تعرف الفاصلة بأنها كلمة في آخر الآية كالقافية في الشعر والسجع في النثر فهي توافق أواخر الآي في حروف الروي أو في الوزن [٨٨]. وإلى القول بأن الفاصلة وحدها تكون من دواعي التقديم والتأخير أو الذكر والحذف وما إلى ذلك من أغراض بلاغية ركن جلّ المفسرين[٨٩]. وهذا الذي ركنوا إليه محل نظر وذلك أن التنزيل العظيم يُعنى بالدرجة الاساس بالمعنى الذي يقتضيه السياق وتدل عليه قرائن الأحوال لا بجانب التناغم فحسب ، صحيح أن لفواصل الآي أثرها في نفس المتلقي من حيث عذوبة جرسها وجمال نغمتها إلا أن التعبير القرآني لا تنصبّ عنايته على الصناعة اللفظية وإنما تنصب على المعنى ، وليست الفواصل إلا ثمرة من ثمرات المعنى المتحصل من السياق أو المقام . وصفوة القول إن التعبير القرآني لا يعدل من تعبير إلى آخر إلا إذا صحب هذا العدول اختلاف في المعنى فهو يقدم لفظاً على آخر مثلاً استجابة لما يتطلبه المعنى ويقتضيه السياق .

ومهما يكن من شيء فقد توقف المفسرون عند هذا الفن إذ ذكروا في قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))[٩٠] أن (أنفسهم) مفعول مقدم للاختصاص أي : لم يقع وبال ظلمهم إلا بأنفسهم خاصة لا يتعداهم ، ولأجل الفواصل أيضاً[٩١].

٤-الإنكار : ومما ورد من هذا الضرب قوله تعالى : ((قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً))[٩٢] إذ ذكر الزمخشري أن (أغير الله) مفعول أول لـ (أتخذ) و (وليّاً) مفعول به ثانٍ وإنما قدم المفعول الأول على فعله لمعنى ، وهو إنكار أن يتخذ غير الله وليًّا ، ونحوه قولك لمن يهين زيداً وهو مستحق للإكرام، : (أزيداً أهنت ؟!) أنكرت أن يكون مثله مهاناً[٩٣].

ومنه ما ذكروه في غضون كلامهم على قوله تعالى : ((قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ))[٩٤] إذ نصوا على أن (غير الله) مفعول مقدم لـ (تدعون) وتقديمه إما للاختصاص ، قال الزمخشري : بقوله (أغير الله) ، بمعنى : اتخصون الهتكم بالدعوة كما هي عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها [٩٥] ، وإما للإنكار عليهم في دعائهم للأصنام كما قال بعضهم لأن المنكَر إنما هو دعاء الأصنام لانفس الدعاء ألا ترى أنك إذا قلت : (أزيداً تضرب ؟) إنما تنكر كون (زيداً) محلاً للضرب ولاتنكر نفس الضرب[٩٦].

ب-تقديم المفعول من أجله على المفعول به : ومثاله عندهم جاء في قوله تعالى : ((أَئِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ))[٩٧] إذ ذكروا أن (أئفكاً) مفعول لأجله ، و (آلهة) مفعول به ، وقدمت معمولات الفعل إهتماماً بها ، وحسنه كون العامل رأس فاصلة وقدم المفعول لأجله على المفعول به اهتماماً به لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل[٩٨].

ب- تقديم الجار والمجرور : يعمد التعبير القرآني إلى تقديم الجار والمجرور على عامله اسماً كان أو فعلاً وذلك حسبما يقتضيه السياق والمعنى فنراه يقدم في موطن ويؤخر في موطن آخر مراعياً في ذلك حسن التنسيق ودقة الاختيار . وقد استطاع علماء البيان أن يضعوا اليد على بعض أنفس جواهر التعبير القرآني في فن التقديم والتأخير .

وانحصرت أسرار التقديم والتأخير عندهم بما هو آتٍ :

١- الاختصاص
٢- الاهتمام
٣- الفاصلة
٤- الاعتناء

ومما يفيد الاختصاص ماورد في قوله تعالى : ((وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ))[٩٩] إذ ذكر الزمخشري أنه قدم الجار والمجرور إيذاناً بالاختصاص ، أي : ليخص المؤمنون ربهم بالتوكل عليه وبالتفويض له ، لعلمهم أنه لا ناصر لهم سواه[١٠٠].

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ((قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا))[١٠١] إذ نص القرطبي على أنه إنما قدم (عليه) لوقوع (آمنا) تعريضاً بالكافرين ، حين ورد عقب ذكرهم ، كأنه قيل : آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال : (وعليه توكلنا) خصوصاً ، لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم .[١٠٢]

ومما يفيد الاهتمام ما جاء في قوله تعالى : ((وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً))[١٠٣] إذ ذكر صاحب (اللباب) أن الجار والمجرور إنما تقدم اهتماماً وتنبيهاً على أنهما أولى بالإحسان إليهما .[١٠٤]

ومما كانت الفاصلة علة لتقديمه ما جاء في قوله تعالى : ((الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ))[١٠٥] ، وفي ذلك يقول ابن عادل : ((قوله : ((في صلاتهم خاشعون) الجار والمجرور متعلق بما بعده وقدم للاهتمام به وحسنه كون متعلقه فاصلة))[١٠٦].

ومما يفيد العناية ما ورد في قوله تعالى : ((وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ))[١٠٧] وفي ذلك يقول ابن عادل : ((وقدم الخبر اعتناء به))[١٠٨].

ج- من علل التوكيد :-

التعبير القرآني تعبير فني مقصود روعي فيه استعمال كل لفظة بل كل حرف وحركة ، فهو يضع الألفاظ في مواقعها التي تليق بها ومحالها التي تناسبها وتستقر فيها ومن ثم لم تندّ مفردة من مفرداته عما أريد لها من معنى في ضمن سياقها ولو أمعنا النظر في أسرار استعمال التوكيد في التنزيل ودققنا في بعض أمثلة هذا الفن لانكشفت لنا منه جواهر نفيسة ولطائف عجيبة . على أن القرآن الكريم يسلك مسالك متعددة ويتبع طرائق مختلفة في استعمال أسلوب التوكيد إذ قد يستعمل مؤكداً واحداً أو مؤكدين أو ثلاثة وقد يقتصر في مواطن معينة على بعض المؤكدات دون بعض بل قد ينزع المؤكدات جميعها في مواطن أخرى تبدو لأول وهلة شبيهة بغيرها . وكل ذلك لا يخرج عن الأطر التي رسمها السياق واقتضاها المعنى .

وفي هذا المقام نحاول أن نعرّج على بعض الأمثلة التي رصدها علماء البيان في هذا الميدان ، وسأكتفي بمثالين فحسب ، إذ المقام يضيق بكل ما سطروه في مظانهم .

فمن ذلك أن القرآن الكريم يعمد الى استعمال مؤكد أو مؤكدين في موطن ونزعه في موطن آخر يبدو شبيهاً بالاول ، قال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً (*) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ))[١٠٩] إذ أكد بـ (إنَّ) في الآية التي تخاطب الكافرين دون التي تخاطب الكافرين ، وفي سر ذلك يقول ابن عادل : ((وأتى بجملة الوعيد مؤكدة بـ (إنَّ) تنبيهاً على شدة ذلك ، وبجملة الوعد خالية منه لتحققها وأنه لا إنكار لذلك))[١١٠]. وهذا التعليل مبهم لا ينكشف منه سر التأكيد في الآية . ويبدو لي أن المقام في الآية التي تخاطب الكافرين مقام عقوبة وتنكيل ، فضلاً على ما فيها من تبسُّط وإفاضة في الكلام عليهم وذكر أخلاقهم الذميمة ونعوتهم السيئة ، ولأجل ذلك أكد بـ (إنَّ) الشديدة ، قال تعالى : ((أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً (*) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنْ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (*) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً (*) فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً (*) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ))[١١١] فكان المناسب للسياق هو التأكيد ألا ترى كيف زاد في تهديدهم إذ جاء بـ (سوف) التي تنبئ عن مزيد تهديد وفضل تأكيد ، في حين أن الآية التي تخاطب المؤمنين جاءت عرضاً وعليه أخليت من (إنَّ) التأكيدية .

ومما يندرج تحت هذا الباب ما جاء في قوله تعالى : ((إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))[١١٢] وقوله : ((إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))[١١٣] إذ أخلى سرعة العقاب في سورة (الأنعام) من اللام في حين أكده في سورة (الاعراف) والسر في ذلك بينه ابن عادل بقوله : ((وأكد قوله (لغفور) باللام دلالة على سعة رحمته ولم يؤكد سرعة العقاب بذلك هنا ، وإن كان قد أكد ذلك في سورة الاعراف لأن هناك المقام مقام تخويف وتهديد وبعد ذكر قصة المعتدين في السبت وغيره فناسب تأكيد العقاب هناك))[١١٤] . وعلة ذلك عند الكرماني أن ما في سورة الإنعام وقع بعد قوله تعالى : ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا))[١١٥].

فقيَّد قوله (غفور رحيم) بالام ترجيحاً للغفران على العقاب[١١٦] ، أما الطاهر بن عاشور فيقول : ((ومن لطائف القرآن الاقتصار في وصف (سريع العقاب) على مؤكد واحد ، وتعزيز(الغفورالرحيم) بمؤكدات ثلاثة ، وهي (إنَّ) ولام الابتداء ، والتوكيد

اللفظي لأن (الرحيم يؤكد معنى (الغفور) ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته ، ويستدعي أهل الإعراض والصدوف الإقلاع عمَّا هم فيه))[١١٧].

ولو دققنا النظر في السياق الذي وردت فيه كلتا الآيتين لوجدنا أن المعنى يقتضي التوكيد في الموطن الذي أكد فيه دون المعنى الذي نزعت منه أداة التوكيد ، وذلك أن سياق آية الاعراف في الكلام على اليهود من أصحاب السبت وما حاق بهم إذ عصوا ربهم ولم يمتثلوا لأوامره ، قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (*) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (*) فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (*) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))[١١٨] فلما كان المقام مقام إظهار سطوته تعالى وتعجيل لهم عقوبته كان المناسب أن يؤكد سرعة العقاب ، بخلاف آية الأنعام فإنها في سياق جعل الله تعالى الناس خلائف في الأرض وتفاوت مراتبهم ، قال تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))[١١٩] . ثم إنه أكد في الأعراف دون الأنعام إذ كان جرم أصحاب السبت أشد وذنبهم أعظم ، فكان الملائم للمقام المبالغة في تأكيد سرعة العقاب .

د- من علل استعمال الحروف :-

وسأكتفي بسوق بعض الأمثلة من هذا الميدان وذلك لضيق المقام .

وينقسم هذا الموضوع عند البيانيين كما يأتي :-

أ- حروف النفي

ب- حروف الجر

ت- حروف الجزم

أ- حروف النفي :-

١- (لا) : ومن أبرز معانيها أنها يُنفى بها الحال والاستقبال ، كقوله تعالى : ((وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ))[١٢٠] يقول ابن عادل في علة استعمال (لا) : ((وأتى هنا بـ (لا) لأنها ينفى بها الحال والاستقبال ، وإن كان بعضهم خصها بالاستقبال))[١٢١].

وكون (لا) من صوارف الفعل المضارع للاستقبال فحسب مذهب الجمهور [١٢٢] وفيه نظر وذلك لأنها وردت في كثير من المواطن لغير الاستقبال ، كقوله تعالى : ((رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَأَخِي))[١٢٣] ، وقوله تعالى : ((مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ))[١٢٤] وغير ذلك كثير ، و (لا) في الموطنين للحال لا للاستقبال ، فتعين أنها ليست مقصورة على صرف المضارع للاستقبال بل صالحة لنفيه في جميع الأزمنة .

٢- (لن) : وهي حرف نفي يصرف المضارع للاستقبال ، كقوله تعالى : ((أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ))[١٢٥] ، وفي ذلك يقول ابن عادل : ((وجيء بـ (لن) دون (لا) لأنها أبلغ في النفي))[١٢٦] . والحق أن حكمة العربية اقتضت أن تخص كل مفردة من مفردات العربية بمعنى معين وملاك الأمر في (لن) هو التأكيد والانكار ، تقول (لا أذهب إليه) إذا أردت نفي الذهاب في المستقبل ، فإذا شددت في إنكارك قلت : لن أذهب إليه . وهذا الذي ذكرت ينطبق على الآية المباركة إذ أنكر عليهم عدم اكتفائهم أن يمدهم ربهم بثلاثة آلاف من الملائكة .

٣-(ما) : وهي موضوعة لنفي الحال ، كقوله تعالى : ((مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ))[١٢٧] وفي ذلك يقول ابن عادل : ((وأتى بـ (ما) في النفي دون غيرها ، لأنها لنفي الحال ، وهم متلبسين بذلك))[١٢٨].

ب- حروف الجر :

١- (إلى) : ولها دلالات مختلفة ، منها أنها تأتي بمعنى اللام ، يقول ابن عادل ، وهو ينظّر بين (إلى) في قوله تعالى : ((وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى))[١٢٩]. واللام في قوله تعالى : ((وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى))[١٣٠].إن ((المعنيين لائقان ، فلا عليك في أيهما وقع))[١٣١].

وأكبر الظن أن معنى الحرفين مختلف وأنه في (إلى أجل) بمعنى أنهما يجريان ليصلا إلى غاية مسماة أو موعد معين في حين أن معنى (لأجل) أنهما يجريان لغرض معروف وتكون اللام لانتهاء الغاية .

٢- (على) : ومن معانيها الاستعلاء ، كقوله تعالى : ((فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ))[١٣٢] وفي ذلك يقول ابن عادل : ((وأتى بـ (على) تنبيهاً على أن اللعنة قد استولت عليهم وشملتهم))[١٣٣].

٣- (في) : ويؤتى بها للدلالة على الظرفية ، كقوله تعالى : ((أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا))[١٣٤] يقول ابن عادل : ((وعُدِّي – لتعودن – بـ (في) الظرفية كأن الملة لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم))[١٣٥] .

٤- (اللام) : ومن معانيها الدلالة على الملك ، كقوله تعالى : ((لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ))[١٣٦] .

يقول ابن عادل : ((وإنما أتى في الكسب باللام وفي الاكتساب بـ (على) ، لأن اللام تقتضي الملك ، والخير يُحبُّ ويُسرُّ به ، فجيء معه بما يقتضي الملك ولما كان الشر يُحذر وهو ثقل ووزر على صاحبه جيء معه بـ (على) المقتضية لاستعلائه عليه))[١٣٧] وأحسب ، والله أعلم ، أن الفعل (كسب) تعدى باللام إذ كانت النفس المؤمنة كالذي يملك شيئاً ، ومن ثم كانت عاقبة عمله بمثابة ما يملكه ، في حين أن الكافر يحمل أوزاره على ظهره يوم القيامة فكأن أوزاره مستعلية عليه لذلك عدي (اكتسب) بـ (على) .

٥- (من) : ومن معانيها التبعيض كقوله تعالى : ((وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ))[١٣٨] ، يقول ابن عادل : ((وقال : (كلوا مما رزقكم) ، لأن (من) للتبعيض ، فكأنه قال : اقتصروا في الأكل على البعض واصرفوا البقية على الصدقات والخيرات وأيضاً إرشاد إلى ترك الإسراف))[١٣٩].

ث- حروف الجزم :

١- حرفا الجزم (لما) و (لم) : يشير البيانيون في أثناء تفسيرهم قوله تعالى : ((بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ))[١٤٠] إلى السر وراء استعمال (لم) مع جملة الإحاطة و (لمَّا مع جملة إتيان التأويل جاء في (اللباب) : ((ونفيت جملة الإحاطة بـ (لم) وجملة إتيان التأويل بـ (لمَّا) لأن (لم) للنفي المطلق على الصحيح ، و (لمَّا) لنفي الفعل المتصل بزمن الحال ، فالمعنى أن عدم التأويل متصل بزمن الإخبار))[١٤١]. والصحيح أن نفي إتيان التأويل بـ (لمَّا) لا ينفك عن معنى يدقّ فيتُصوَّر أن استعمال (لم) و (لمَّا) سواء وهما في التحقيق مختلفان ، وذلك أن في منفي (لمَّا) معنى التوقع بخلاف المنفي بـ (لم) وبمقتضى ذلك يكون المعنى : أنه لم يأتِ وربما يأتي تأويله بعد حين .

٢- (إنْ) : يؤتى بها مع الأمر المبهم وقوعه كقوله تعالى : ((فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ))[١٤٢] يقول ابن عادل في سر ذلك : ((وأتى بـ (إنِ) الشرطية دون (إذا) تنبيهاً على أن طلاقه يجب أن يكون باختياره من غير أن يُشتَرط عليه ذلك لأن (إذا) للمحقق وقوعه و (إن) للمبهم وقوعه أو المتحقق وقوعه المبهم زمان وقوعه))[١٤٣].

وقد يقتضي موضع ما استعمال (إنِ) التي للشك لسر ذكره ابن عادل إذ قال في قوله تعالى : ((أَفَإِنْ مِّتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ))[١٤٤] : ((وأتى هنا بـ (إنِ) التي تقتضي الشك ، والموت أمر محقق ، إلا أنه أورده مورد المشكوك فيه للتردد بين الموت والقتل))[١٤٥] .

وقد يؤتى بها في الشيء النادر الوقوع ، ومنه قوله تعالى : ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا))[١٤٦] وفي سر ذلك يقول ابن عادل : ((قوله (وإن طائفتان من المؤمنين) ، إشارة إلى ندرة وقوع الاقتتال بين طوائف المسلمين))[١٤٧].

هـ- من علل التضمين :

التضمين عند العلماء إشراب لفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤه حكمه ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين .[١٤٨]

وقد بثَّ المفسرون والنحويون طرفاً من مسائل هذا الباب إذ عمدوا إلى صرف كثير من معاني مفردات الكتاب العزيز إلى معانٍ أخرى وذلك إذا دلَّهم الاستقراء على عدم اطراد تعلق حرف ما بهذا الفعل أو ذاك . واتخذ التضمين عندهم صوراً متعددة فقد يضمن الفعل اللازم معنى فعل لازم وقد يضمن الفعل اللازم معنى فعل متعدٍ بيد أن الذي يلفت النظر أنهم كثيراً ما يحملون بعض الأفعال على التضمين وإن كانت هذه الأفعال غير مقترنة بحرف جر . وسيتضح ذلك جليًّا في الصفحات الآتية .

وعلى أية حال فكتبهم زاخرة بهذا اللون من ألوان التعبير ، وهو أمر ينم على العناية التي أولوها هذا الفن . وقد أضربت صفحاً عن استقصاء جميع ما سطروه في كتبهم من مسائل هذا الباب ومن ثم وجدتني أقف عند حد التمثيل ولا أتجاوزه وفيما يأتي أمثلة من مسائل هذا الميدان .

١- حملوا الفعل (قاتل) في قوله تعالى : ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ))[١٤٩] على التضمين أي : بالغوا في القتال في نصرة دين الله تعالى .[١٥٠] والأوفق عندي أن تكون (في) للتعليل ومن ثم يكون المعنى : وقاتلوا لأجل سبيل الله أي دينه .

٢- وأجازوا أن يكون الفعل (ألقى) في قوله تعالى : ((وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))[١٥١] مضمناً معنى الافضاء أي : ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة .[١٥٢] والأظهر أن يكون المفعول محذوفاً فيكون المعنى ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم [١٥٣] والباء في هذا الموطن تفيد الاستعانة مع السببية .

٣- وعندما عرضوا لقوله تعالى : ((وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ))[١٥٤] جوزوا أن يكون (تأكلوا) مضمناً معنى (تضمُّوا) كأنه قيل : ولا تضموها إلى أموالكم آكلين لها [١٥٥] أو تكون (على) على بابها ، وهي ومجرورها متعلقة بمحذوف على أنه حال أي مضمومة أو مضافة إلى أموالكم [١٥٦] . وعندي أن القول بأن (على) ومجروها متعلقة بمحذوف يقع حالاً نظراً أي نظر وذلك أن هذا التقدير يفضي إلى تقييد النهي عن أكل أموال اليتامى بحال كونها مضمومة أو مضافة إلى أموال الآكلين في حين أن مقتضى الآية المباركة النهي عن أكل مال اليتيم مطلقاً .

٤- ومنه أنهم جوزوا أن يضمن (يظلم) في قوله تعالى : ((إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ))[١٥٧] معنى (ينقص أو يغصب) ، وعليه يكون (مثقال ذرة) منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ (يظلم) والأول محذوف ، والأصل : إن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة . أو يكون نعتاً لمصدر محذوف أي : لا يظلم أحداً ظلماً وزن ذرة .[١٥٨] والأظهر عندي أن يكون كل من معنى المفعولية والمصدرية مراداً ، فيكون ذلك من باب التوسع في المعنى ، فكأن المعنى : إن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة من العمل ولا يظلم أحداً مثقال ذرة من الظلم ، فأوجز ذلك بأقرب طريق وأخصره إذ قال : إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة) فجمع بين معنيي المفعولية والمصدرية .

٥- وذكروا أن (علم) في قوله تعالى : ((أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ))[١٥٩] تعدى بالباء لأنه تضمن معنى الإحاطة[١٦٠] والذي يتجه لي أن ليس ثمة مسوغ للتضمين وذلك أن اسم التفضيل إذا كان من فعل يفهم منه العلم أو الجهل تعدى إليه اسم التفضيل المصوغ منه بالباء ، وذلك نحو : (أنا أعلم به ، وأدرى به ، وأعرف به ، وأجهل به)[١٦١]

٦- وذهبوا إلى أن (إلى) في قوله تعالى : ((يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدراراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ))[١٦٢] متعلقة بـ (يزدكم) وذلك على تضمين (يزيد) معنى (يضيف) ، أي : يضيف إلى قوتكم قوة أخرى أو أن الجار والمجرور صفة لـ (قوة) أو أن (الى) بمعنى (مع)[١٦٣]. والأرجح عندي أن يكون الجار والمجرور متعلقاً بمحذوف يقع صفة لـ (قوة) والتقدير : يزدكم قوة مضافة إلى قوتكم إذ فتح باب التضمين على مصراعيه وإطلاق العنان في هذا الميدان قد يحملنا على التعسف في هذا الموطن أو ذاك ومن ثم ينبغي ألاّ يلجأ إليه ما وجدنا إلى غيره مندوحة .

٧- وجوزوا أن يضمن (تهوي) في قوله تعالى : ((فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ))[١٦٤] معنى (تميل)[١٦٥] ، وذهب بعضهم إلى أنها زائدة للتوكيد [١٦٦] والأولى التضمين وذلك أن الآية رمت إلى شيئين : أولهما : أن تكون قلوب الخلق مظنة لهم ، وهذا مقتضى تضمين (تهوي) معنى (تميل) . وثانيهما : أن يكون منتهى هذا الميل والمحبة إليهم وهو مقتضى إستعمال (إلى) ومن ثم كسب بعبارة (تهوي) إليهم هذين المعنيين مجتمعين . ولو جعلنا (إلى) مزيدة ما أدَّت العبارة هذا المؤدى وما كسبنا سوى المعنى الأول .

٨- وحينما عرضوا لقوله تعالى : ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ))[١٦٧] ذكروا أن (يخالفون) ضمن معنى (يصدون) أو (يعرضون) أي : يصدون عن أمره أو يعرضون عنه[١٦٨]. والظاهر أن (يخالفون) بمعنى (يتخلفون) ومن ثم تبقى (عن) على بابها ، ويشهد لما أزعم قول الإمام علي عليه السلام : ((كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فِي اللَّهِ ، وَلاَ يُخَالِفُ بَصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ))[١٦٩] . وبمقتضى ذلك ليس ثم تضمين في الآية المباركة .

٨- وذكروا في قوله تعالى : ((يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ))[١٧٠] أن الفعل (يؤخذ) قد ضمن معنى (يُسحبُ)[١٧١] أو (يُدفعُ) أو (يدعُّ)[١٧٢].

والأظهر عندي أن (أخذ) تارة يتعدى بنفسه وأخرى بحرف الجر ، فيكون نظير الفعل (مسح) إذ يقال : (مسحت وجهي) و (مسحت بوجهي) ، ويدعم ما أزعم ما نقله مكي من أن العرب تقول : (أخذت الخطام) و (أخذت بالخطام)[١٧٣] . ومصداق ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام : ((أَسْلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى))[١٧٤] ، وقوله : ((أَدْرَكَتَ الْأَبْصَارَ وَأَخَذَتَ بالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ))[١٧٥].

٩- وحينما ذكروا قوله تعالى ((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)) [١٧٦] نصَّ بعضهم على أن (سأل) قد ضمن معنى (دعا) في حين ذهب الجمهور إلى أن معنى الباء انصرف إلى معنى (عن) [١٧٧]. وأرى أن جمهور النحويين والمفسرين قد أخطأوا وجه الصواب إذ صرفوا الباء إلى معنى (عن) ، اذ نصّ بعضهم على هذا المعنى ودار في فلكه النحويون من دون طول تأمل ولا فضل عناية بالجو المحيط بالآية المباركة ولا بالسياق الذي وردت فيه ، ولو احتكمنا إلى أسباب النزول لوجدنا الآية الكريمة قد نزلت بحق النضر بن الحارث الذي جاء إلى حضرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بُعيد تنصيب الإمام علي عليه السلام أميراً للمؤمنين وهو يقول : يا محمد جعلت الالهة إلهاً واحداً فصدقناك وادعيت النبوة فصدقناك ثم لم يبقى إلا أن تجعل ابن عمك وصهرك أميراً علينا وغادر حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يردد : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فاسقط علينا حجارة من السماء فسقطت عليه حجارة من السماء ومات [١٧٨] فنظرة منصفة مدققة تجعلنا نركن إلى أن الفعل (سأل) قد ضمن معنى (دعا) لأنه هو المناسب للسياق الذي سيقت لأجله . أما ما نص عليه الجمهور فأجدني لا أميل إليه ومن ثم أرى أن يحذف إنصراف (الباء) إلى معنى (عن) لأنه الشاهد اليتيم الذي ساقوه في هذا الميدان ، وهو غير متناغم ولا مناسب لسياق الآية الكريمة .

الخاتمة:

وفي خاتمة البحث اود ان اذكر اهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة وهي ان الزمخشري والرازي كان لهم السبق في اقتناص الكثير من العلل النحوية والنكات البيانية .. ثم جاءت الدراسات اللاحقة امثال دراسة ابي حيان الاندلسي والالوسي وغيرها لتكون مصداقاً لما اقره وحدده ورصده الشيخين ..

هي ان الكثير من المفردات العربية تكون الفاظاً مجردة عائمة المعاني اذا ما انتزعت من سياقاتها وجوها العام وهذا حال النصوص القرانية والتي لكل منها جوها الخاص وسياقها المحيط بها فالاية خارج سياقها تتجاذبها الكثير من المعاني ..

ان علل التنكير والتعريف من اهم العلل التي تعرض لها العلماء العلماء المفسرين وقد حشدوا لها العديد من العلل النحوية وقد افادت الكثير من الالفاظ الى معاني التعظيم والتفخيم والتنويع والتعليل والتخصيص والكمال وغيرها .. في حين ما كانت لتؤدي المعنى في حال استعمالها على غير صورتها المستعملة في الاية ..

وما توصلت له الدراسة في مسألة تأويل (خسر) في الاية "والعصر ان الانسان لفي خسر"[١٧٩] ان تنكير (خسر) افادت الابهام ويستخلص ذلك من سياق الاية وجوها ومرادها فالخسر هنا معنىً مبهم لا يحده ولا يحيط بكنهه الا علّام الغيوب .

اما معنى التحفيز الذي تلمسه صاحب اللباب فهو لا يتسق مع جو الاية بل يكتنفه الضعف وينقصه التسويغ العقلي والعرق اللغوي .. وكذلك ما تعرض له الزمخشري في كشافه في تنكير (علماً) في الاية ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً))[١٨٠] ، جاء في (الكشاف) : ((وإنما نكر (علماً) تعظيماً له ، أي : علماً سنياً أو دلالة على التبعيض ، لأنه قليل جدّاً بالنسبة إلى علمه تعالى))[١٨١] . والأرجح أن يكون الغرض من التنكير التبعيض ، إذ ما أوتي داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بعض من علمه تعالى الذي لا ينفد ولا يتناهى إلى حدّ."

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى عترته الطيبين الطاهرين ..

الهوامش :

[١] ينظر شرح الرضي ١٤٥/٢ .
[٢] ينظر النحو الوافي ٢٠٨/١-٢٠٩ .
[٣] البقرة / ٥ .
[٤] اللباب ٣٠٣/١ .
[٥] البقرة /٢٦٩ .
[٦] اللباب ٤١٩/٤. وينظر الكشاف ٣٩٦/١ ، والبحر المحيط ٣٢١/٢ .

(٧) الأعراف / ٨٤ .
(٨) اللباب ٢٠٨/٩ .
(٩) ينظر إرشاد العقل السليم ٢٧٠/٢.
(١٠) ينظر التحرير والتنوير ٢٣٨/٨ .
(١١) العصر /١-٢ .
(١٢) اللباب ٤٨٦/٢٠ .
(١٣) قريش / ٤ .
(١٤) ينظر الكشاف ١٣٥/٣ والبحر المحيط ٤٤٤/٥ .
(١٥) ينظر الكشاف ٢٨٨/٤ ، والتفسير الكبير ١١١/٣٢ .والبحر المحيط ٥١٥/٨ .
(١٦) النساء / ٩٥ .
(١٧) اللباب ٥٨٤/٦ .
(١٨) الطور /١-٢ .
(١٩) اللباب ١١٣/١٨ .
(٢٠) ينظر روح المعاني ٢٧/٢٧ .
(٢١) البقرة /١٩.
(٢٢) ينظر الكشاف ٢١٤/١ والبحر المحيط ٢٨٦/١ .
(٢٣) آل عمران / ٣٧ .
(٢٤) اللباب ٤ /١٨٤ .
(٢٥) النساء / ٦ .
(٢٦) الكشاف ٥٠١/١ .
(٢٧) آل عمران /١٥٧ .
(٢٨) التوبة / ٧٢ .
(٢٩) التفسير الكبير ١٣٢/٣ .
(٣٠) آل عمران /١٦٧ .
(٣١) اللباب ٤١/٦ .
(٣٢) البقرة /٩٦
(٣٣) اللباب ٣٠١/٢
(٣٤) ينظر الكشاف ٢٩٨/١ ، والإتقان ٥٥/٢ .
(٣٥) ينظر التحرير والتنوير ٦١٧/١ .
(٣٦) مواهب الرحمن ٣٣٣/١ .
(٣٧) البقرة /٩٤ – ٩٥ .
(٣٨) الحج / ٢٨ .
(٣٩) الكشاف ١١/٣ .
(٤٠) الأعراف / ١٢٦ .
(٤١) ينظر التفسير الكبير ٢١٨/١٤ .
(٤٢) هود / ٦٩ .
(٤٣) اللباب ٥٢٠/١٠-٥٢١ .
(٤٤) آل عمران / ١٠٨ .
(٤٥) اللباب ٤٦١/٥ . وينظر الكشاف ٤٥٤/١ والبحر المحيط ٢٧/٢ .
(٤٦) الأنعام / ٢ .
(٤٧) اللباب ١٦/٨ .
(٤٨) ينظر روح المعاني ٨٧/٧ .
(٤٩) الأنبياء / ١٠٤ .
(٥٠) الكشاف ٥٨٥/٢ .
(٥١) النمل /١٥ .
(٥٢) الكشاف ١٣٩/٣ .
(٥٣) الطور /٢١ .
(٥٤) اللباب ١٣١/١٨ . وينظر التفسير الكبير ٢٥٣/٢٨ .
(٥٥) الزمر / ٥٦ .
(٥٦) الكشاف ٨٦/٤ . وينظر التفسير الكبير ٧٠٦/٢٧ .
(٥٧) ينظر التحرير والتنوير ٤٥/٢٤ .

(٥٨) آل عمران /٢١ .
(٥٩) البقرة / ٦١ .
(٦٠) اللباب ١١٣/٥ .
(٦١) البقرة / ٦١ .
(٦٢) آل عمران / ١١٢ .
(٦٣) معاني النحو ١١٨/١ .
(٦٤) التعبير القرآني ١٧١ .
(٦٥) الأعراف /١٣١ .
(٦٦) ينظر البحر المحيط ٣٧٠/٤ .
(٦٧) الكشاف ١٠٦/٢ .
(٦٨) الفلق /٣-٥ .
(٦٩) اللباب ٥٧٣/٢٠ .
(٧٠) ينظر التحرير والتنوير ٦٢٧/٣٠- ٦٢٩ .
(٧١) البقرة / ٥٧ .
(٧٢) اللباب ٩١/٢ .
(٧٣) ينظر البحر المحيط ١ / ٢١٦ .
(٧٤) البقرة / ١٧٢ .
(٧٥) اللباب ١٦٩/٣ .
(٧٦) ينظر البحر المحيط ٤٨٥/١ .
(٧٧) الحاقة /٣١ .
(٧٨) ينظر الكشاف ١٥٣/٤ .
(٧٩) ينظر البحر المحيط ٣٢٥/٨ .
(٨٠) ينظر التحرير والتنوير ١٣٨/٢٩ .
(٨١) الكتاب ١٥/١ . وينظر بدائع الفوائد ٦١/١ .
(٨٢) سبأ / ٤٠ .
(٨٣) اللباب ٧٨/١٦ .
(٨٤) ينظر البحر المحيط ٢٨٧/٧ .
(٨٥) المدثر / ٣- ٥ .
(٨٦) ينظر اللباب ٤٩٣/١٩ .
(٨٧) ينظر الكشاف ١٨٠/٤ والبحر المحيط ٣٧٠/٨ .
(٨٨) ينظر الفاصلة في القرآن ٢٩ .
(٨٩) ينظر المثل السائر ٣٩/٢ وروح المعاني ٢٤٣/١ .
(٩٠) آل عمران /١١٧ .
(٩١) اللباب ٤٨٦/٥ .
(٩٢) الأنعام / ١٤ .
(٩٣) ينظر الكشاف ٨/٢ والتفسير الكبير ١٧٨/١٢ .
(٩٤) الأنعام / ٤٠ .
(٩٥) ينظر الكشاف ١٨/٢ .
(٩٦) ينظر البحر المحيط ١٢٨/٤ .
(٩٧) الصافات / ٨٦ .
(٩٨) ينظر الكشاف ٣٤٤/٣ والتفسير الكبير ١٤٨/٢٦ .
(٩٩) آل عمران / ١٦٠ .
(١٠٠) ينظر الكشاف ٤٧٥/١ .
(١٠١) الملك / ٢٩ .
(١٠٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/١٨ .
(١٠٣) البقرة / ٨٣ .
(١٠٤) اللباب ٢٣٠/٢ .
(١٠٥) المؤمنون / ٢ .
(١٠٦) اللباب ١٦٦/١٤ .
(١٠٧) البقرة / ٢٣٣ .
(١٠٨) اللباب ١٨١/٤ .

(١٠٩) النساء / ٥٦ – ٥٧ .
(١١٠) اللباب ٤٣٠/٦ .
(١١١) النساء / ٥٢ – ٥٦ .
(١١٢) الأنعام / ١٦٥ .
(١١٣) الأعراف / ١٦٧ .
(١١٤) اللباب ٥٤٠/٨ .
(١١٥) الأنعام / ١٦٠ .
(١١٦) ينظر أسرار التكرار ٧٧ .
(١١٧) التحرير والتنوير ٢١٢/٨ .
(١١٨) الأعراف / ١٦٤ – ١٦٧ .
(١١٩) الأنعام / ١٦٥ .
(١٢٠) البقرة / ١٠٢ .
(١٢١) اللباب ٣٥٣/٢ .
(١٢٢) ينظر الكتاب ٤٦٠/١ ، والمقتضب ٤٧/١ ، وهمع الهوامع ٢١/١ .
(١٢٣) المائدة / ٢٥ .
(١٢٤) النمل / ٢٠ .
(١٢٥) آل عمران / ١٢٤ .
(١٢٦) اللباب ٥٢٠/٥ .
(١٢٧) البقرة / ١٠٥ .
(١٢٨) اللباب ٣٦٢/٢ .
(١٢٩) لقمان / ٢٩ .
(١٣٠) الزمر / ٥ .
(١٣١) اللباب ٤٦٣/١٥ .
(١٣٢) البقرة / ٨٩ .
(١٣٣) اللباب ٢٧٦/٢ – ٢٧٧ .
(١٣٤) الأعراف / ٨٨ .
(١٣٥) اللباب ٢١٥/٩ .
(١٣٦) البقرة / ٢٨٦ .
(١٣٧) اللباب ٥٣٤/٤ . وينظر البحر المحيط ٣٦٧/٢ .
(١٣٨) المائدة / ٨٨ .
(١٣٩) اللباب ٤٩٢/٧ .
(١٤٠) يونس / ٣٩ .
(١٤١) اللباب ٣٣٥/١٠ .
(١٤٢) البقرة / ٢٣٠ .
(١٤٣) اللباب ١٤٨/٤ .
(١٤٤) الأنبياء / ٣٤ .
(١٤٥) اللباب ٥٧٣/٥ .
(١٤٦) الحجرات / ٩ .
(١٤٧) اللباب ٥٣٨/١٧ .
(١٤٨) ينظر مغني اللبيب ٨٩٧/٢ والكليات ٢٤/٢- ٢٦ .
(١٤٩) البقرة / ١٩٠ .
(١٥٠) ينظر اللباب ٣٣٩/٣- ٣٤٠ .
(١٥١) البقرة / ١٩٥ .
(١٥٢) ينظر اللباب ٣٥٢/٣ – ٣٥٣ .
(١٥٣) ينظر مغني اللبيب ١/ ١٤٧ – ١٤٨ .
(١٥٤) النساء / ٢ .
(١٥٥) ينظر الكشاف ٤٩٥/١ ومغني اللبيب ٨٩٨/٢ .
(١٥٦) ينظر اللباب ١٥٤/٦ .
(١٥٧) النساء /٤٠ .
(١٥٨) ينظر اللباب ٣٨٢/٦ .
(١٥٩) الأنعام / ٥٣ .

(١٦٠) ينظر اللباب ١٧٠/٨ .
(١٦١) ينظر شرح الرضي ١١٩/٢-١٢٠ .
(١٦٢) هود/ ٥٢ .
(١٦٣) ينظر اللباب ٥٠٦/١٠ – ٥٠٧ .
(١٦٤) إبراهيم / ٣٧ .
(١٦٥) ينظر معاني القرآن ٣٧٧/٢ .
(١٦٦) ينظر مغني اللبيب ١٠٥/١ .
(١٦٧) النور / ٦٣ .
(١٦٨) ينظر اللباب ٤٦٩/١٤ .
(١٦٩) نهج البلاغة ٢٣/٢ .
(١٧٠) الرحمن / ٤١ .
(١٧١) ينظر البحر المحيط ١٩٦/٨ .
(١٧٢) ينظر اللباب ٣٣٧/١٨ .
(١٧٣) ينظر مشكل إعراب القرآن ٧٠٧/٢ .
(١٧٤) نهج البلاغة ٥٦/١ .
(١٧٥) المصدر نفسه ٧١/٢ .
(١٧٦) المعارج /١ .
(١٧٧) ينظر اللباب ٣٤٨/١٩ .
(١٧٨) ينظر المصدر نفسه ٣٤٧/١٩ .
(١٧٩) العصر/١.
(١٨٠) النمل /١٥.
(١٨١) الكشاف ١٣٩/٣ .

المصادر والمراجع :

- الإتقان في علوم القرآن / السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) عالم الكتب – بيروت ١٩٥١ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود / أبو السعود ، محمد بن محمد (ت ٩٥١ هـ) دار الفكر – بيروت .
- أسرار التكرار في القرآن / الكرماني ، محمد بن حمزة (ت بعد ٥٠٠ هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الأولى ، دار بو سلامة – تونس ١٩٨٣ م .
- البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) ، مطابع النصر الحديثة – الرياض ١٩٧٠ م .
- بدائع الفوائد / ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) دار الفكر – بيروت .
- التعبير القرآني /د. فاضل صالح السامرائي الطبعة الأولى ، مطبعة دار الحكمة – بغداد ١٩٨٩ م .
- تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور ، محمد الطاهر ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) / الرزاي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق محيي الدين الميس ، دار الفكر – بيروت ١٩٩٥م .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الثناء الآلوسي ، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- شرح الرضي على الكافية / الرضي الاستربادي ، محمد بن الحسن (ت ٦٨٨ هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥م.
- الفاصلة في القرآن / محمد الحسناوي ، الطبعة الثانية ، دار عمَّار – الأردن ١٩٨٦ م – الكتاب / سيبويه ، عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ) الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق – مصر ، ١٣١٦ – ١٣١٧ هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / الزمخشري ، محمد بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) دار المعرفة – بيروت ١٩٦٨ م.
- الكليات / أبو البقاء الكفوي ، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤ هـ) تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ١٩٧٥ م.
- اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل ، عمر بن علي (ت بعد ٨٨٠ هـ) أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوَّض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨ م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٩ م .

- مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم الضامن الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٤ م .
- معاني القرآن / الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) تحقيق د. فائز فارس الطبعة الثانية ، الكويت ١٩٨١ م .
- معاني النحو / د. فاضل صالح السامرائي مطبعة التعليم العالي – الموصل ١٩٨٧ م) مطابع دار الحكمة – بغداد ١٩٩١ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب / ابن هشام الأنصاري ، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١ هـ) تحقيق د. مازن المبارك الطبعة الخامسة دمشق ١٩٧٩ م .
- المقتضب / المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة عالم الكتب – بيروت ١٩٦٣ م .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن / السيد عبد الأعلى السبزواري ، الطبعة الثالثة ، بغداد ١٩٨٩ م.
- النحو الوافي / عباس حسن ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف – مصر ١٩٧٤ م.
- نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة الاستقامة – مصر .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد السلام هارون ود. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية – الكويت ١٩٧٥ م – ١٩٨٠ م .